**الخطبة : الدَّيْن.**

**(الأولى)**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

نبأ عجيب، خبر رائع، وفاء مذهل، قصّة فريدة في شأنها، قصة الوفاء في قلوب الرجال، قصة الصدق في حقوق العباد، قصة لرجلين صالحين ضربا أروع المواقف الإيمانية وأغلى الأخلاق الإسلامية، حدّث النبي بخبرها فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (أن النبي ذكر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيدا، قال فأتني بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فيا ترى ماذا سيصنع ليوفي الدين في أجله، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجّج موضعها (أي سوّى موضع النقر، وأحكم إغلاقه) ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه وغاصت الخشبة بألف دينار والرسالة في البحر، ثم انصرف وهو في ذلك، يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال قد قطعت أمواج البحار وسبحت على سطح البحر بين يديه فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، لا إله إلا الله موقف يقف عاجزا أمام قدرة الله تعالى، ثم قدم الذي أسلفه فأتى بالألف دينار ظن أن الخشبة لم تصل فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بالمال، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إلي بشيء فلم ينكر ولم يكذب، قال أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا).

تعالوا معي عباد الله لنضع عنوانا لهذه القصة الرائعة...

أهي الوفاء؟ أهي الصدق؟ أهي الثقة بالله؟ أهي ذلك كله؟

إنها القصة التي يعجب منها أهل عصرنا، إنه الموقف الذي يحتار فيه ثلة من بني قومنا.

هذه القصة قدمتها بين يدي مشكلة أورثت الهم والغم، وقصمت ظهور كثير من الناس، ظاهرة فشت وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فقلَّ من سلم منها، فكم من أذهان بها مشغولة، وعقول مذهولة.

الدَّين... وما أدراك ما الدين؟

الدين الذي أقض المضاجع ونغص العيش، فالدين هم بالليل وذل بالنهار.

نعوذ بالله وإياكم من غلبة الدين.

عباد الله إن القرض من محاسن الإسلام وآدابه الكريمة، فها هو القرآن الكريم يتلوا علينا في أطول آياته آدابا وأحكاما في الدين فعوارض الحياة متقلبة، وقد يشح المال في يد مسلم فيحتاج فماذا يفعل؟

فشرع المولى تعالى الدين (القرض) ليسد به المحتاج حاجته وندب إليه بل جعله قربة للمولى عز وجل.

وأطول آية في القرآن آية الدين ففي الصحيح يقول النبي : (من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

وعند ابن ماجه بسند حسن أن النبي قال: (ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين إلا كان كصدقتها مرَّة).

ويروي أنس عن النبي أنه قال: (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة).

ولكن أين المقرض المحسن؟

وأين المقترض الوفي؟

وقبل الخوض في محاسن المقرضين، ومآسي المقترضين، لنكشف عن مغبة الدين وإن الإسلام كره للمسلم أن يمد يده، وأن يستدين إلا لحاجة قاهرة، فالدين هم وغم.

فكم من نفوس تفرقت وعلاقات وصداقات تمزقت شذر مذر، وشكاوى ودعاوى بسبب دين وقرض.

من هنا كشف الإسلام عن ذم السؤال، وعظم الدين ليبقى المرء حرّا طليقا لا يأسره دين ولا تستعبده منَّة، ونحن نرى اليوم جمعا من الناس قد طوقته الديون وعظمت عليه الحقوق.

والعجب أن الكثير من المستدينين قد استدان لغير حاجة ماسة، وتحمل الديون العظيمة، فترى الإغراق في الكماليات، والبذخ في الحفلات والمناسبات، فيستدين من أجل أثاث فاخر، ويتدين من أجل سيّارة فارهة، يستدين من أجل شهوات البطون والفروج، وآخر له في كل إجازة موعد مع الدين للسفر والسياحة، بل ربما رأيت من يستدين لأمر محرم وسفر محرم وعبث وإسراف، فيكثر الغرماء ويتعدد الخصماء، ويعيش المستدين هما بالليل وذلا بالنهار، فيقرع الأبواب ويلح في المسألة وربما أراق ماء وجهه، وقد كان في سعة وغنى عن هذا الموقف.

والنبي يقول فيما رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها، أتلفه الله).

واليوم ترى الرجل ويا للأسف يطلب قرضا في مسكنة وحياء وأدب جم، فيتلطف في الكلام، ويقسم الأيمان على الوفاء والتمام، محددا للمكان والزمان، دون أدنى مماطلة.

فإذا تملك المال، وقبض القرض بيمينه ولى بظهره وذهب يتمطى، ثم رأيت عجبا وإذا بالرجل الذي كان يعاهد الله ويقسم على الوفاء والتمام قد تحوَّل إلى شخص آخر يملك أعلى المكر والدهاء وينسى أخلاق الرجال والوفاء، فلا يجيب على الهاتف، ولا يرد على الجوال ويماطل ويكذب ويحلف ويتوارى.

فضاعت الثقة بين الناس وحلَّت الخيانة حتى أصبح المحسنون يوصي بعضهم بعضا بعدم الإقراض والإحسان.

بل سمعنا من يقسم بالله العظيم أنه لن يقرض أحدا بعد اليوم، قف على مكاتب القضاء لنرى كم قضايا ديون مستحقة لم تسدد، وقضايا صكوك الإعسار، وشيكات بلا رصيد، ومطالبات أمنية، وخطابات رسمية، وشفاعات ودية، وهذا يروغ ويماطل بل ربما جحد واستنكر ولا أدري متى يجيء اليوم الذي نتكلم فيه كلام الشرف، ونعد وعد الصدق وتقوم حياتنا على الوفاء والتواصي بالحق، والله تعالى يقول: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ النساء: ٢٩.

وهذا الإمام النسائي يروي في سننه بسند صحيح عن محمد بن جحش يقول: (كنَّا جلوسا عند النبي فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد؟ فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته فقال: والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي دينه).

وفي صحيح البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال: كنّا جلوسا عند النبي : (إذ أتي بجنازة فقالوا صلوا عليها فقال هل عليه من دين قالوا: لا. قال: فهل ترك شيئا قالوا: لا. فصلى عليه، ثم أتي بجنازة أخرى فقالوا يا رسول الله صل عليها، قال هل عليه من دين قيل نعم قال فهل ترك شيئا قالوا ثلاثة دنانير فصلى عليها، ثم أتي بثالثة فقالوا صل عليها قال هل ترك شيئا قالوا لا قال هل عليه دين قالوا ثلاثة دنانير قال صلوا على صاحبكم قال أبو قتادة دينه عليَّ يا رسول الله فصلى عليه، قال أبو قتادة فجعل رسول الله إذا لقيني يسألني هل قضيت الدين عن أخيك، حتى قلت له يا رسول الله قضيتهما فقال الآن بردت عليه جلدته).

 ورحم الله بعض السلف وهو يقول: (إياكم و الدين فإن أوله هم وآخره حرب إنه هم بالليل وذل بالنهار، وإذا أراد الله أن يذل عبدا جعل في عنقه دينا).

عباد الله...

أفتى جمهور العلماء بجواز بيع التقسيط والزيادة إلى أجل ولكن الناظر البصير لواقعنا اليوم يرى هذا الكم الهائل من شركات التقسيط فكنا إلى عهد قريب لا نعرف من التقسيط سوى تقسيط السيارات والمنازل أما اليوم فأصبح التقسيط في جميع حوائجنا... مواد غذائية بأقساط، أثاث بأقساط، جوالات بأقساط، ملابس بأقساط، حاسوب بأقساط، رغيف خبز بأقساط، وكأن التقسيط ليس بدين في أعناقنا، وكم من أناس يموتون وفي أعناقهم ديونا وأقساطا لا يعلمها إلا الله، ووالله وتالله لئن يمشي الرجل بقدميه خير له من سيارة بأقساط يعيش بها ذلا في النهار وهمَّا بالليل، ووالله لئن يعيش الإنسان بسيطا متواضعا يأكل خبزا وماء خير له من أن يكبل نفسه ويأسرها بقيد التقسيط والمطالبة الذي في ظاهره عيش رغيد، وفي باطنه ألم شديد، وها هي عروض التقسيط تؤز الناس إليها أزّا، ناهيكم عن البطاقات الائتمانية التي تجر المستهلك إلى سكرة الشراء وشراهة الإسراف، وليس سرا أن ديون المواطنين المستحقة للبنوك فقط بلغت في العام الماضي أكثر من مئة وتسعين مليارا.

**(الثانية)**

عباد الله...

الدّين الذي في محله ولحاجة ليس عيبا، فقد استدان أشرف الخلق ، والله تعالى يقول: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭼ البقرة: ٢٨٢ .

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: (هذه آية الدين أطول آية في القرآن واشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار).

فإذا ألجأتك الحاجة الماسة للدين فأصلح النيّة، وأصدق العزيمة في سداده، وتذكر أن الدين أمانة، والله تعالى يقول: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ النساء: ٥٨.

من الظلم والغبن أن تماطل في قضاء دينك فالنبي يقول: (مطل الغني ظلم).

واعلم رعاك الله أن المماطلة خلق ذميم تأباه شيم النفوس الكريمة، فلا تضجر من صاحب الحق عليك فإن لصاحب الحق مقالا.

ويا من أهمَّه الدين، وعجز من الوفاء، خذ بالأسباب، وضاعف العمل والكسب، واجعل قضاء الدين همَّك بالليل والنهار، ولا تستقل المدفوع فالقليل مع القليل كثير وسد على نفسك باب الكماليَّات، وضيق عليها في الضروريَّات، حتى تفك أسرك من الدين والمستحقات.

أخي صاحب الدين استعن بالله على وفاء دينك بصدق الوفاء والعزم على السداد، واعلم أن الله لن يضيعك.

أخي صاحب الدين، إذا ضاقت بك الهموم والديون فيمم وجهك شطر السماء وضج بالشكاية لرب يجيب الدعاء، واطرح ضرك وفاقتك عند مزيل اللأواء، وكاشف البأساء.

أخي صاحب الدين ردد في الصباح والمساء هذه الكلمات التي جاءت عن نبيّك : (اللهم أكفني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك).

فبادر أخي المديون بوفاء دينك قبل أن تبادرك المنايا، وتذكر موقفا تجثو فيه الركب وتشيب فيه مفارق الولدان وليس ثمة إلا الحسنات والسيئات.

قال : (من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم) رواه أحمد وابن ماجه وهو حديث صحيح.

ووقفة أخيرة مع أصحاب الأيادي البيضاء مع المحسنين الفضلاء، الذين طابت أيديهم فأقرضوا إخوانهم قرضا حسنا، فكان سببا في تنفيس كربة وتفريج هم.

أخي المحسن...

اعلم رعاك الله (أن من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة).

واعلم أن نبيك يقول: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) رواه الحاكم وصححه الألباني.

فيا صاحب المعروف اتبع المعروف بالمعروف، وأنظر المعسر إلى حال الميسرة، ولا تضيّق على أخيك المسلم فتودعه سجنا وتودعه حبسا وألما، قال تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﭼ البقرة: ٢٨0.

قال ابن سعدي في تفسيره: (وإذا كان الذي عليه الدين معسرا لا يجد وفاء وجب على غريمه أن ينظره إلى ميسرة وإن تصدق على غريمه بإسقاط الدين أو بعضه فهو خير له).

فخفّف عن إخوانك المعسرين واصبر واحتسب، قال الله عز وجل:

ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﭼ البقرة: ٢٨٠.

 قال : (من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة) رواه أحمد بسند صحيح. وعند الترمذي أن النبي قال: (من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله).

فإلى كل من وقع في ورطة الدين ومغبته فليبادر بكتابته في وصيته ففي الصحيح عن ابن عمر (ما من امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلته إلا ووصيته مكتوبة عنده).

قال ابن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله يقول ذلك إلا وعندي وصيتي.

فيا عباد الله...

الدين أمره خطير وعاقبته وخيمة، فحقوق العباد مبنيّة على المشاحّة فليبصر كل منا موقع قدمه حتى لا يزل.